العرب
الخميس 2020/03/19
السنة 42 العدد 11651

جدل في تونس: أيّ مشروعية للاحتجاج في زمن الكورونا

حالة طوارئ تنتفي معها كل الحجج المبررة لأيّ تحرك اجتماعي

بعض الحقوق تتراجع حين تتسبب في تعريض الآخرين للخطر

أثار احتجاج، قاده أهالي منطقة الكامور في الجنوب التونسي، جدلا حول مشروعيته بسبب تزامنه مع حالة الطوارئ المعلنة لمواجهة انتشار فايروس كورونا، إضافة إلى تساؤلات عن قدرة حكومة حديثة العهد ومأزومة وغارقة في إرث معقّد من الصراعات والأزمات على مواجهته. ولئن لم ينف أغلب التونسيين حق المعتصمين في الاحتجاجات التي شهدتها البلاد في الأيام الماضية، إلا أنهم لا يوافقون عليها في مثل هذا الظرف الصحي الاستثنائي الذي تشهده تونس والعالم بأسره.

آمنة جبران
صحافية تونسية

تونس – في خضم الجدل وحالة الاضطراب اللذين تسببا فيهما فايروس كورونا، وبينما كانت الأنظار مركزة حول إجراءات الحكومة لمواجهة هذا الطارئ الذي قلب حياة التونسيين رأسا على عقب، شهدت منطقة الكامور البترولية في الجنوب الشرقي لتونس، احتجاجات ضد عدم تطبيق اتفاق مبرم بين أهالي المنطقة والحكومة السابقة.

أثار هذا الوضع جدلا في الشارع التونسي بين من اعتبره تصفية حسابات سياسية تستهدف حكومة إلياس الفخفاخ، حديثة العهد، وبين من انتقده واعتبره خارجا عن السياق في وقت تشهد فيه البلاد حالة طوارئ تنتفي معها كل الحجج التي يمكن أن تبرر أيّ تحرك احتجاجي.

واعتصام الكامور هو حركة احتجاجية دارت أحداثها بين الـ23 من أبريل والـ16 من يونيو 2017، تاريخ إمضاء اتفاق بين حكومة يوسف الشاهد والمعتصمين. ونص الاتفاق على فض الاعتصام مقابل الاستجابة لمطالب المحتجين المتعلقة بتنمية الجهة وتوفير فرص عمل داخل المحافظة التي تشهد أعلى نسبة بطالة في البلاد، إضافة إلى رصد 80 مليون دينار (27 مليون دولار) للاستثمار.

لكنّ الحكومة عجزت عن الإيفاء بوعودها وتعثر تطبيق الاتفاق. وما كان لأهالي المنطقة الغاضبين من ردّ إلا أن يعلنوا إضرابا عاما، في محافظة تطاوين. وزاد توقيت الاعتصام الضغوط على حكومة إلياس الفخفاخ، خاصة وأن أزمة كورونا انضمت إلى قائمة من الملفات الثقيلة التي تنتظر حلولا عاجلة.

إلى جانب اعتصام الكامور، شهدت البلاد، في نفس الفترة، حركات احتجاجية حيث تظاهر عمال الحضائر والأساتذة النواب إلى جانب موظفي مؤسسة التبغ الذين أوقفوا تزويد السوق للمطالبة بتطبيق اتفاقيات موقعة بشأنهم بين المركزية النقابية والحكومة وتحسين ظروفهم الاجتماعية والمادية.

مشروعية الاحتجاج

كان لتطورات اعتصام الكامور أن تتخذ منحى مختلفا لو جاء الاعتصام في ظرف عادي، بعيدا عن ضغوط أزمة الكورونا. وكانت القراءات ستتجه نحو البحث في دور حركة النهضة التي دعّمت الاحتجاج، وعلاقة ذلك بالضغط على الحكومة الجديدة، كما مساعي النهضة للتنصل من اتفاق كانت هي أحد الأطراف المساهمة في توقيعه وفي عدم تطبيقه، باعتبارها جزءا من الحكومة.

وأجمع سياسيون وخبراء رصدت "العرب" آراءهم أن الأولية في هذه المرحلة هي التصدي لفايروس كورونا وحماية أرواح المواطنين، على الرغم ممّا أبدوه من تفهّم ومساندة للحركات الاحتجاجية والمطالب الاجتماعية. ووصف السياسي التونسي أحمد نجيب الشابي الظرف الحالي في البلاد بحالة "حرب". وقال في تصريح لـ"العرب"، "دائما ما أساند الحركات الاحتجاجية لكننا اليوم في حرب.. حياتنا مهددة".

وتابع "رغم شرعية الاحتجاجات السلمية يجب أن نأخذ بعين الاعتبار هذا الظرف القاهر.. الأولوية لحلّ مشكلة كورونا أوّلا". ويؤيده في ذلك رئيس لجنة العلاقة مع البرلمان والمنظمات خالد شوكات، الذي قال لـ"العرب" إن "الأولية بالنسبة إلينا هي مكافحة كورونا"، مذكّرا بمواقف اتحاد الشغل من الحركات الاحتجاجية التي تتزامن مع ظهور كورونا. وكان موقف اتحاد الشغل واضحا في هذا السياق، حيث أكد رفضه للاحتجاج الذي يعرّض حياة الناس للخطر.

واعتبر شوكات أن "هذا الوباء يهدّد حياة الشعب كما يهدّد كل العالم". ودعا إلى "تأجيل المعارك الاجتماعية على أهميتها لتعبئة الموارد والإمكانيات". وأردف "علينا التعبئة لمواجهة هذا الوباء الذي لا يفرّق بين فقير وغنيّ وحاكم ومعارض". وأصبح الشغل الشاغل للحكومة التونسية اليوم هو كيفية تجنّب الدخول في وضع مشابه لما حصل لإيطاليا.

وأشار الباحث في علم الاجتماع ممدوح عزالدين لـ"العرب" أن "هناك إحساسا بفقدان الأمل والحرمان واستمرار التهميش"، لافتا إلى أن "انعدام العدالة الاجتماعية يجعل الشباب غير مكترث بالمخاطر". وقال عزالدين "الخطر ليس في الوباء بل في المنظومة الصحية غير القادرة على مواجهته وهذا ما يزيد من حالة الهلع، وقد تنجم حركات احتجاج أخرى تصعب على الحكومة السيطرة عليها".

صوت كورونا هو الأعلى

لكن، ذلك لا يبرّر وضع صحة الجميع في مدار الخطر، وفق زهير المغزاوي، النائب عن الكتلة الديمقراطية، الذي ساند الرأي المؤيد لفكرة الوضع الصحي الطارئ الآن قبل الاحتجاج. وأشار في تصريح لـ"العرب"، إلى أنّ "المرحلة تتطلّب مزيدا من التضامن والتماسك الاجتماعي لمواجهة التحدي".

وطالب بضرورة الانخراط في حملات التوعية واتّباع نصائح وزارة الصحة وتعليمات الحكومة لتجنب تحول الوضع إلى كارثة كما حصل في إيطاليا وإيران ودول أخرى.

وعلى الرغم من تفهّمه ومساندته للمطالب الاجتماعية والاحتجاجات الأخيرة، لفت المغزاوي إلى أن كل "حكومات العالم منهمكة في التصدي لهذا الوباء". وتابع "لا صوت يعلو فوق صوت الحرب على كورونا".

أحمد نجيب الشابي
رغم شرعية الاحتجاجات يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الظرف القاهر

خالد شوكات
علينا التعبئة لمواجهة هذا الوباء الذي لا يفرق بين حاكم ومعارض

زهير المغزاوي
لا صوت يعلو فوق صوت الحرب على كورونا

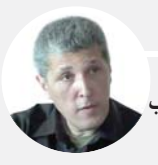

ممدوح عز الدين
انعدام العدالة الاجتماعية يجعل الشباب غير مكترث بالمخاطر

هل تقضي الدكتاتورية على وباء كورونا

حكيم المرزوقي
كاتب تونسي

الخوف يجعل الإنسان أكثر جنوحا للسلم، وأقل صداما مع خصومه، لكنه يصنع نوعا من الشراسة تفرضها "سيكولوجية الإنسان المقهور" كما يراها المفكر مصطفى حجازي، في كتابه الشهير.

لا يحتج إلا الغاضبون، الواثقون من غدهم.. والثقة باستجابة الطرف المقابل لمطالبهم، ذلك أن الحق في الوقفات الاحتجاجية أمر لا تقره إلا النظم الديمقراطية، شرط أن يكون ذلك في حالتي السلم والوئام الأهلي.

أما في الحروب والاضطرابات والأزمات، فلا يمكن وضع الاحتجاجات والمحتجين إلا في خانة "بث البلبلة" وتصنيف أصحابها بأنهم من "الطابور الخامس"، ولكن.. مهلا.. أليس من حق المظلوم أن يطالب بحقه - وبصرف النظر عن الظروف الطارئة - أم أن الديمقراطية "حالة رفاهية" يسمح بها اليسر ويمنعها العسر؟

ووفق نفسية الإنسان المقهور دائما، فإن الأخير، أميل في الأزمات، إلى الإلقاء بحمله على السلطة - سياسية كانت أم دينية - وذلك للتجرد من المسؤولية، والتماس الأمل.. أيّ أمل.

"كذا الدابة كلما ثقل عليها الحمل رفعت رأسها إلى السماء"، تقارب هذه المقولة للكاتب والمفكر الوجودي التونسي محمود المسعدي (1911 - 2004)، فكرة العجز البشري الذي يدفع صاحبه باتجاه الاحتماء بالسلطة السياسية أو نحو التدين كسبيل للخلاص، وليس خيارا معرفيا عاقلا ومتعقلا كما في الفقه الديني المبني على الحجة والاستدلال، أو استلهاما يبني إيمانه على الحدس ووحدة الوجود كما هو الحال لدى المتصوفة.

طيلة هذه الأيام التي ارتفعت فيها وتيرة التوقي والاحتياط من كورونا، ورافقتها خطابات وكلمات وجّهت للشعب في تونس، لم نلحظ وجود أي احتجاج أو تحفظ.. ما عدا بعض التعليقات الساخرة التي لا بد منها في المقاهي ووسائل الاتصال الاجتماعي.

لم ينهض حتى عتاة المتشددين اعتراضا على منع التجمعات المتعلقة بالصلوات في المساجد، أو حتى العمرة والحج. اكتفى الجميع بالصمت والدعاء ومساندة " أولياء الأمر" منهم.

الخوف يوحّد قلوب المؤمنين وغير المؤمنين، يرصّ صفوف الموالاة والمعارضة، على حد سواء، فمن الذي له مصلحة بالاحتجاج إذن؟

هل الداعون لمواصلة نشاطاتهم الدينية والسياسية والمدنية والاجتماعية والثقافية، هم جماعة على ثقة دائمة بأنهم "لن يبدلوا تبديلا" أم أن في الأمر مكرا واضحا واصطيادا في المياه العكرة؟ كيف لواحد أن يفكر في شق عصا الطاعة أثناء مرحلة ينبغي فيها الوقوف وقفة رجل واحد إزاء عدوّ خفيّ لا يفرّق بين مؤمن وغير مؤمن، مؤيد ومعارض بل يتسرب إلى صفوف الممارسين لحقهم الديمقراطي في الوقفات الاحتجاجية.

هل تستطيع وحدات التدخل السريع وقوى الأمن حماية المتظاهرين والمحتجين من كورونا؟ هل يصلح طلب الرأفة والدعاء بالأمان من أن يحفظ المصلين من فايروس يتسرب ويتنقل بين صفوف المصلين؟

غياب الشعور بالأمان يدفع الفرد باتجاه التدين كآلية بحث عن غطاء يقيه عدائية الآخر وتهديداته، ولكن من هو هذا "الآخر"، أليس هو الخائف والمخيف، القاتل والضحية في الوقت ذاته؟ في المجتمعات ذات الثقافة العنفيّة تكثر حالات التدين كما هو الشأن في الأحياء الفقيرة بدول أميركا اللاتينية التي تُرتكب فيها جرائم القتل والخطف والاغتصاب تحت حيطان الكنائس، وعلى أنغام الترانيم وأجراس الصلوات ثم نلجد المجرمين أنفسهم وهم يجلسون على كراسي الاعتراف، يبدون التوبة ويطلبون الغفران في كل مرة.

الخوف يوحد قلوب المؤمنين وغير المؤمنين، يرص صفوف الموالاة والمعارضة، فمن الذي له مصلحة بالاحتجاج إذن؟

كذلك الأمر في الحقل السياسي، وكل ما يتبعه من ممارسات ديمقراطية في المجتمع المدني، لكنّ المصطادين في المياه العكرة كثر، وهم موجودون في المعارضة كما السلطة.. السلطة التي تقول لك هذه الأيام "ليس وقته" ومن حق المعارض أن يرد عليها بقوله "ومتى وقته إذن؟".

هذه الأيام، يسكت فيها الناشطون السياسيون والدينيون على حد سواء. وقاموس المقهورين والمستضعفين يعج دوما بعبارات الحوقلة والحسبلة (الأولى من "لا حول ولا قوة إلا بالله" والثانية من "حسبي الله ونعم الوكيل")، ذلك أن هذا الشعور بالمظلومية لا يجد له عزاء وبلسما إلا في الركون للتعبد كوسيلة استقواء على كل أشكال الظلم والاستبداد.

تعزز حالة التدين لدى الموتورين وفاقدي التوازن النفسي شعورا بالقوة ورغبة في الانتقام من أصحاب السلطة والنفوذ المادي والمعنوي فتبعث لدى صاحبها حالة من "العدائية المشروعة" مصدرها أن صاحبها على حق، وإنما كلفته الإرادة الإلهية بمهمة الثأر لمن هم على شاكلته من المظلومين والمقهورين، لكن الأوبئة تجعل من كل محتج "يعدّ للعشرة" ثم "ينكث بوعده" مع واجبه المدني والسياسي أيضا.

السجال بين الرياض وطهران يمتدّ من الساحة الإقليمية إلى المسرح

إيرانيون يقدمون فنهم في بلد لا يخطر على بال.. السعودية

إبي: لم يخطر على بالي أبدا في يوم من الأيام أنني سأتمكن من الغناء في السعودية

ستيفن كالين

العلا (السعودية) – تجمّع هذا الشهر عدد من الفنانين الإيرانيين الذين يعيشون في المنفى وينتقدون السلطات الدينية المتشددة في طهران لتقديم فنهم في أغرب بلد يمكن أن يخطر على البال ألا وهو السعودية.

تدور هذه الوقائع وسط ازدياد التوتر بين الخصمين الإقليميين. وقد روج المنظمون لها باعتبارها حوارا ثقافيا لكنها أتاحت في الوقت نفسه للرياض الفرصة لتنال بصورة غير مباشرة من طهران إذ أذاعت قناة أم.بي.سي الفارسية الحفلات للمشاهدين الإيرانيين.

كانت تلك الحفلات التي تم تنظيمها في موقع العلا الصحراوي من آخر الفعاليات العامة الكبرى في السعودية قبل أن تفرض السلطات قيودا على التحركات للحدّ من انتشار فايروس كورونا. وشارك فيها اثنان من أشهر المطربين الإيرانيين هما إبي وليلى فروهر إلى جانب نجوم من أمثال ساسي وآراش وآندي.

وقال إبي، الذي طار إلى السعودية من لوس أنجلس، "أبدا. لم يخطر على بالي أبدا في يوم من الأيام أنني سأتمكن من الغناء في السعودية.. أنا سعيد جدا بوجودي هنا".

وكان بعض هؤلاء الفنانين في السابق موضع احتقار السلطات الإيرانية لأسباب بعضها ذو صبغة سياسية واضحة. واجتذب أداؤهم في السعودية انتقادات على وسائل التواصل الاجتماعي. وأثار جدلا في الداخل الإيراني، حيث علق أحد الإيرانيين في تغريدة على تويتر "إذا ذهب شخص وغنى في السعودية فأكثر الكلمات تأدبا في وصفه هي 'خائن'".

وغنى إبي، الذي يصفه محبوه بأنه "فرانك سيناترا إيران" باللغة الفارسية وصفق له جمهور الحاضرين من سعوديين وضيوف إيرانيين مدعوين كانوا يتمايلون مع الموسيقى وشغلوا جانبا من المسرح الذي يسع 500 متفرج.

وأهدى إبي إحدى أغانيه للنساء وخص بالذكر امرأتين بين العازفين في فرقته على المسرح.

وقال "أتمنى السماح في يوم من الأيام للنساء في بلادي بالغناء على المسرح". وكانت السعودية طبقت إصلاحات اجتماعية بما في ذلك السماح بإقامة الحفلات الموسيقية والسماح للنساء بقيادة السيارات وحضور المباريات الرياضية. لكن لا يزال السجال مستمرا بينها وبين إيران منذ العشرات من السنين وقد امتد هذا السجال إلى صراعات إقليمية.

بعض هؤلاء الفنانين الذين قدموا عروضا في السعودية موضع احتقار السلطات الإيرانية لأسباب بعضها ذو صبغة سياسية واضحة

وسئل الفنانون والحاضرون عن البعد السياسي للحفلات فقالوا إنهم يفضلون التركيز على الموسيقى. وقال المغني آراش، السويدي الجنسية الإيراني الأصل، "أحاول ألا أنغمس كثيرا في السياسة. فهذا ليس عملي. عملي أن أسعد الناس".

كما قال وسام قابيل (30 عاما) من جدة ويعمل في استيراد السلع الاستهلاكية إنه جاء ليتعلم شيئا جديدا وإنه يجب تنحية السياسة جانبا على الأقل لليلة واحدة. وأضاف "الموسيقى لا تعرف اللغة ولا تعرف الدين ولا تعرف البلد".